كذلك، تبيّن من استطلاع للرأي أجراه، مؤخراً، مركز البحوث الاستراتيجية في جامعة تل ـ أبيب، «ان الاسرائيليين اصبحوا، اليوم، أقل ثقة بقدرة اسرائيل على الصمود في المستقبل ازاء الاخطار التي تهدّد وجودها»(٩).

تحت وطأة هذه الحالة المعنوية الخاصة، انفعل الرأي العام الاسرائيلي بالانتفاضة، وتفاعل معها، فجاءت ردود فعله، على الرغم من تباينها، متفقة، على العموم، بأن الانتفاضة تشكّل خطراً داهماً على الوجود، ولا بدّ من البحث في حلول نوعية، للخروج باسرائيل من مأزقها الراهن.

غير ان المفارقة التي تتبدّى، اليوم، لمراقب الاحداث تتمثّل في ان استجابات الشارع الاسرائيلي للانتفاضة كانت، في غالبيتها، استجابات سلبية، تعكس أجواء القلق والتشاؤم والخوف التي تسيطر على المستوطنين بفعل الانتفاضة الفلسطينية، كما تعكس المدى الذي وصلت اليه عملية تزييف، وتشويه، الوعي الاسرائيلي، ليس فقط تجاه الانسان الفلسطيني، والعربي، بل تجاه مفهوم السلام عينه، الامر الذي جعل فكرة معايشة العربي، أو مسالمته، ترتطم بركام من الرواسب النفسية، والفكرية، المشوّهة، حول حقيقة الانسان العربي، وحول أهمية السلام، وامكانات تحقيقه في المنطقة.

صحيح ان هناك آلافاً من الاسرائيليين بادروا، منذ الايام الاولى للانتفاضة، الى الدعوة الى الانسحاب من المناطق المحتلة، وتحقيق تسوية سياسية مع الفلسطينيين، وتظاهروا، عشرات المرات، ضد استمرار الاحتلال، ونددوا بوحشية القمع الاسرائيلي للفلسطينيين في الضفة والقطاع، واعربوا، في مناسبات عديدة، عن تضامنهم مع سكان القرى والمدن الفلسطينية الذين تعرّضوا لأشكال القمع الجماعي الصهيوني، وتكتلوا في أكثر من خمسين حركة احتجاجية، رفعت كل منها شعاراً يعبّر عن محتواها وأهدافها المباشرة، مثل «يكفي احتلال»، و«يوجد حدود»، و«السنة الحادية والعشرون»، و«خط أحمر»، و«شبيبة ضد الاحتلال»، و«ابتعد أيها الاحتلال»، وغيرها، وينبغي أخذ ذلك بعين الاعتبار عند استقراء خارطة الوضع السياسي داخل الكيان الصهيوني؛ ولكن الصحيح، أيضاً، ان هذه الحقيقة ينبغي ان لا تطغى على مجمل الصورة العامة، التي ترتسم، اليوم، بوضوح، داخل اسرائيل. فهذه القوى الاحتجاجية الاسرائيلية لا تشكّل، من الناحية الكمّية، غير نسبة مئوية ضئيلة؛ كما ان فعاليتها، وقدرتها، على التأثير في الشارع الاسرائيلي محدودتان للغاية؛ والاهم من ذلك، ان الزمن الاسرائيلي لا يعمل لصالح هذه المجموعات الاحتجاجية.

ومن الضروري، هنا، الاشارة الى ان وسائل الاعلام العالمية، والعربية، أولت هذه الحركات الاحتجاجية أهمية فائقة، وغطت نشاطاتها بكثافة، وبالغت في تقدير وزنها وتأثيرها داخل الكيان الصهيوني، الى الحدّ الذي أوقع الكثيرين من الجماهير العادية خارج فلسطين المحتلة في شرك الاعتقاد بأن هؤلاء المحتجين على استمرار الاحتلال داخل الكيان الصهيوني يشكّلون أغلبية الاسرائيليين، أو انهم على الطريق الى ان يصبحوا القوة الرئيسة المؤثرة داخل اسرائيل، في المدى المنظور.

ان الوقوف على حقيقة الاستجابة الشعبية الاسرائيلية للانتفاضة الفلسطينية، لا بدّ له ان يستند الى معيارين، قلّ ما يخطئان في تحديد اتجاهات الرأي العام الاسرائيلي، وهما استطلاعات الرأي العام التي قامت بها مراكز ومعاهد مختصة، ثمّ الانتخابات السياسية، والبلدية، التي تمّت في اسرائيل، بعد عام، تقريباً، من انطلاق الانتفاضة الشعبية الفلسطينية.

واذا كان احتمال الخطأ، أو التلاعب، وارداً بالنسبة الى المعيار الاول (استطلاعات